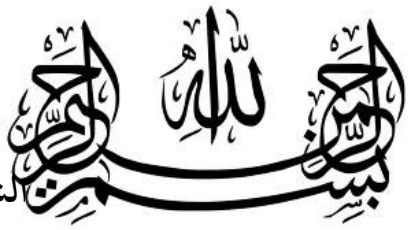

الأحد 2/3/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

لا تيأس من روح الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

إن قلب المؤمن معلق بالله عز وجل متيقن أنه لا يُجَلِّي ما نزل به من هَمٍّ وكرب وبلاء إلا الله عز وجل لكنه أدباً مع الله عز وجل يلتزم أسباب الفرج وأبوابه.

وعلى هذا الأساس عُقِدَتْ هذه السلسلة، حيث أن الله جعل لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب كلها، فإن لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فبعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ.**

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ.

فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ.

فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟

قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ –وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ– فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ [البخاري].

فكل ما نحن به مكتوب ومقدر عند الله غير أنه يُطلب منا أن نتبع أسباب الفرج وأبوابه.

ودرسنا اليوم في باب من أبواب الفرج تحت عنوان: **لا تيأس من روح الله.**

يطلب من كل أخ منا أن يُبقي قلبه معلقاً بالله عز وجل ولا ييأس من روح الله، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: 28].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: 109-110].

يقول ابن كثير في تفسيره: ((**يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ نَصْرَهُ يَنْزِلُ عَلَى رُسُلِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، عِنْدَ ضَيِّقِ الْحَالِ وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَحْوَجِ الْأَوْقَاتِ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [الْبَقَرَة: 214])).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ**» [الترمذي].

الطالب المجتهد المثابر على الحضور والمتفوق في الامتحانات ترى ظنه بالإدارة والأساتذة أنهما الأفضل؛ لأن حسن الدراسة والاستعداد يؤدي إلى حسن الظن.

ولو سألت طالباً -في نفس تلك المدرسة- غير أنه كسول لكانت إجابته معاكسة تماماً متهماً الأساتذة والمدرسة بعدم الكفاءة الكاملة؛ وذلك لأن سوء العمل يؤدي إلى سوء الظن.

ولله المثل الأعلى: عندما تحسن صلتك بالله وتأتمر بأمره وتفعل ما أمرك الله بفعله وتترك ما أمرك بتركه فإنه سيورثك حسن الظن بالله؛ لأن الله لا يتخلى عن المؤمنين ولا يترك أولياءه لأعدائه فالعاقبة لهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، فالله سيكون معك لأنك كنت معه، وسيحفظك لأنك حفظت أوامره، وسيعينك لأنك التزمت بنهيه.

فحسن العبادة -**بمعناه الضيق**: كالصلاة والصوم والزكاة والحج، **وبمعناها الواسع**: بأن تجعل حياتك كلها لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 163]- يورثك حسن الظن بالله.

فالبار يبر والديه؛ والزوج يرعى زوجته وأولاده، والعامل يعمل في خدمة عباد الله إكراماً لحضرة الله، فكلما كانت عبادتك أكثر كلما كان ظنك بالله تعالى أحسن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» [البخاري ومسلم].

في يوم الأحزاب يوم الخندق وقد جاء جيش جرار من مكة وغطفان وغيرها للمدينة، وكان اليهود من وراء المسلمين وقد خانوهم والقلوب بلغت الحناجر من شدة الخوف والرعب من الكفار، وصار المسلمون بين فكي كماشة، قال الله عز وجل: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 9-10].

(فلما اشتد البلاء على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَفَاتِحَ الْكَعْبَةِ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللهُ كِسْرَى**

وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»، فقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق وأن نغنم كنوز فارس والروم، ونحن ها هنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط، والله لما يعدنا إلا غروراً) [البيهقي].

فمهما ظن الإنسان أن الفرج قد تأخر، ومهما ظن الإنسان أن ربنا سبحانه لم يعطه الذي طلبه فإنه ما تأخر الشيء الذي يريده الإنسان إلا لحكمة من الله عز وجل، ولو أن الأحزاب حين جاؤوا وهم في الطريق أرسل عز وجل عليهم الريح فقلبت خيامهم وكفأت قدورهم وقتلتهم لما شعر المؤمنون بحلاوة هذا النصر، ومعلوم أنه عندما تقع الشدة على الإنسان ثم يأتي الفرج بعدها يعرف الإنسان قيمة هذا الفرج، ويعرف فضل الله سبحانه وتعالى.

لو أن موظفاً في شركة كان ذا صلة قوية مع المدير وهو صاحب أخلاق والتزام وآداب وله الفضل فيما يُدَرُّ على الشركة من أرباح، وبالمقابل كان هناك موظفين عاديين ولهم علاقة عادية مع المدير.

وقد عَلِمَ الموظفون أن المدير سيفصل عشرة موظفين، فمن المنطقي أن لا يتوقع هذا الموظف أن يكون منهم؛ وذلك لأن حسن صلته بالمدير يعطيه يقيناً واعتقاداً صحيحاً وحسن ظن بالمدير أنه لن يفصله، أما من كانت أعماله مع المدير سيئة فسيخطر في باله أنه أحد المفصولين.

ولله المثل الأعلى فحسن عبادة وطاعة الله يورثك حسن الظن به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللَّهِ»** [الترمذي].

لذلك وطِّدُوا ثقتكم بالله بأعمالكم الصالحة، والأوراد، والأذكار، وبر الوالدين، وخدمة الزوجة والأولاد، واجتناب الحرام، وإتقان الفرائض، والإكثار من النوافل...

قال الصالحون: الكبائر ثلاث: أن تأمن مكر الله، وأن تقنط من رحمة الله، وأن تيأس من روح الله.

قال أحد الشعراء:

قال: السماء كئيبة! وتجهما قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ: «هُنَّ أَرْبَعٌ: الْإِشْرَاك بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالقُنُوْطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَالأَمْنُ مِنْ عَذَابِ اللهِ» [الديلمي في الفردوس].

مع طول السنين التي قضاها سيدنا يوسف عليه السلام بعيداً عن والده سيدنا يعقوب عليه السلام غير أن سيدنا يعقوب لم ييأس من عودة ولده له فبيَّن الله لنا كلامه بعد أربعين سنة من غيابه فقال: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]، ثم رد الله يوسف على يعقوب.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: 36]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: 37].

كان أحد الصالحين يقول: **أَعِدَّ لعظيم الأمور حسن الظن بالله عز وجل.**

يا صاحبَ الهمِّ، إنَّ الهمَّ مُنفرِجٌ ... أبْشِر بخيرٍ، فإنَّ الفارج اللهُ

إذا بُليتَ فثِقْ باللهِ وارضَ بهِ ... إنّ الذي يكشفُ البلْوى هوَ اللهُ

اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحِبِه ... لا تيأسنَّ فإنَّ الفارجَ اللهُ

اللهُ حَسْبُكَ مِمَّا عُذْتَ منهُ بِهِ ... وأين أمنعُ مِمَّن حسبه اللهُ؟!

اللهُ يُحْدِثُ بعْدَ العُسْرِ ميسرةً ... لا تجزعنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ

واللهِ مالكَ غيرُ اللهِ من أحدٍ ... فحَسْبُكَ اللهُ في كُلٍّ لكَ اللهُ

الحمدُ للهِ شكراً لا شريكَ له ... ما أسرعَ الخيرَ جداً إن يشأ اللهُ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ» [الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.